«النمل الصغار تتوهم ان لله زبانيتين»

- در آثار شیخ بهایی:
  - کشکول
  - العروه الوثقی
  - الاربعون حدیثاً

در آثار شیخ بهایی:

کشکول

الأوصاف السته التي نصفه بها جل و علا إنما هي على قدر عقولنا القاصرة و أوهامنا الحاصرة، و مجرى عاداتنا من وصف من نمجده بما هو عندنا و في معتقدنا كمال أعني أشرف طرفي النقيض لدينا.

و إلى هذا النمط أشار الباقر محمد بن علي‌ّعليهما السلام مخاطبا لبعض أصحابه: و هل سمي عالما قادرا الا أنه وهب العلم للعلماء و القدرة للقادرين، فكل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم، مردود إليكم، و لعل‌ّالنمل الصغار تتوهم أن‌ّللّه تعالى زبانتين كمالها، فإنها تتصور أن‌ّعدمها نقص لمن لا يكون له، و على هذا الكلام عبقة نبوية تعطر مشام أرواح أرباب القلوب كما لا يخفى.

و قد حام حوله من قال من أهل الكمال:

غاية فهم تست اللّه نيست	آنچه پيش تو غير از آن ره نيست

و إليه أيضا ينعطف قول بعض العارفين في ارجوزة له:

لا قدر وسع العبد ذي التناهي	الحمد للّه بقدر اللّه

فإنّما أنكر ما تصوره	الحمد للّه الذي من أنكره

و للّه در الفاضل أفضل الدين الكاشي حيث يقول:

خورشيد فلك چو ذره در سايه تست	گفتم همه ملک حسن سرمايه تست

از ما تو هرآنچه ديده پايه تست	گفتا غلطي زمانشان نتوان يافت

و الحاصل أن‌ّجميع محامدنا له جل ثناؤه و عظمت آلاؤه، اذا نظر إليها بعين البصيرة و الاعتبار، كانت منتظمة مع أقاويل ذلك الراعي، الذي مر به موسى «ع» في سلك،

و منخرطة، مع الماء الذي أهداه ذلك الأعرابي إلى الخليفة في عقد، فنسأل اللّه تعالى قبول بضاعتنا المزجاة، بجوده و امتنانه، و عفوه و إحسانه إنه جواد كريم رءوف رحيم.

تاه عقلي و انقضى عمري	فيك اي اغلوطة الفكر

رحت الا أذى السّفر	سافرت فيك العقول فما

رجعت حسرى و ما اطلعت	ارث[1] ال على عين و ال

قال المحقق الطوسي في شرح رسالة العلم، ما صورته: نعم ما قال عالم من أهل بيت النبوة، يعني محمد بن علي الباقر عليه السلام: هل تسمي عالما قادرا الا لأنه وهب العلم للعلماء و القدرة للقادرين، و كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه، مخلوق

مصنوع مثلكم مردود إليكم؛ و الباري تعالى واهب الحياة. و مقدر الموت، و لعل النمل الصغار تتوهم أن للّه زبانيتين، كمالها و يتصوران عدمهما نقصان لمن ال يكونان له هكذا حال العقلاء فيما يصفون اللّه تعالى به و اليه المفزع.[2]

---

[1] الكشكول ؛ ج ٢ ؛ ص٢٧٥-٢٧٦

[2] الكشكول ؛ ج ٣ ؛ ص٢٨١-٢٨٢

العروه الوثقی

و قد عرفت فیما سبق انّ هذه السوّرة الکریمة مقولة عن السنة العباد و لا ریب ان حمدهم جار علی طبق ما یعتقدونه ثناء و یعدّونه مدحا و تمجیدا بحسب ما أدّت الیه ما ولو افاتهم و استقرّت علیه متعارفاتهم و هذا یؤذن بتوسیع دائرة الثّناء و عدم تضیّقها بالقصر علی ما وه کذلک بحسب نفس الأمر فإنّما یثنی به علیه سبحانه ربّما کان بمراحل عن سرادقات کماله و بمعزل عن ان یلیق بکبریاء جلاله لکنّه جلّ شانه رخص لنا فی ذلک و قبل منّا هذه البضاعة المزجاة لکمال کرمه و إحسانه بل اثابنا علیها وفور لطفه و امتنانه کما انه سبحانه لم یوجب علینا ان نصفه الّا بمثل الصّفات التی ألفاناها و شاهداناها و کانت بحسب حالنا مزیّة و بالنّسبة إلینا کما ال کالکمال و الحیوة و الإرادة و السّمع و البصر و غیرها ممّا أحاطت به مدارکنا و انتهت إلیه طلیعة أوهامنا دون ما لم تصل إلیه أیدی عقولنا و ال تتخطی الی عزّ ساحة اقدامه أفهامنا و ان هیک فی هذا الباب بکلام الامام ابی جعفر محمّد بن علی الباقر علیه السّلم فقد روی عنه انه قال لأصحابه کلّما میّزتموه بأوهامکم فی أدقّ معانیه وه مخلوق مصنوع مثلکم مردود إلیکم و لعل النّمل الصّغار تتوهّم ان للّه زبانتین فانّ ذلک کمالها و یعتقد انّ عدمهما نقصان لمن ال یتّصف بهما و هکذا حال العقلاء فیما یصفون اللّه تعالی به و الی اللّه المرجع و من تأمّل هذا الکلام الشّریف بعین البصیرة فاحت علیه من أزهاره نفحة قدسیّة تعطّر مشامّ الأرواح و الت دیه من أنواره شعشعة إنسیّة تحیی رمیم الاشباح هذا و انّما لم یعامل الحمد انه معاملة سائر أخویه من المصادر المنصوبة علی المفعولیّة المطلقة بعامل مقدّر ال یکاد یذکر نحو شکرا و عجبا و جعل متحلّیة بحلیة الرّفع بالابتداء إیثارا للدوّام و الثّبات علی التّجدّد و الحدوث و اشعارا بأنّه حاصل له تعالی شانه من دون ملاحظة إثبات مثبت[1]

---

[1] العروة الوثقی فی تفسیر سورة الحمد ؛ ص۳۹۸

الاربعون حدیثاً

تبصرة [معرفة اللّه]

المراد بمعرفة اللّه تعالى الاطّلاع على نعوته و صفاته الجلاليّة و الجماليّة بقدر الطاقة البشريّة. و أمّا الاطّلاع على حقيقة الذات المقدّسة فممّا لا مطمح فيه للملائكة المقرّبين و الأنبياء المرسلين فضلا عن غيرهم، و كفى في ذلك قول سيّد البشر: «ما عرفناك حقّ معرفتك» [1] و في الحديث: «إنّ اللّه احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، و أنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم» [2] فلا تلتفت الى من يزعم أنّه قد وصل الى كنه الحقيقة المقدّسة، بل احث التراب في فيه، فقد ضلّ و غوى، و كذب و افترى، فإنّ الأمر أرفع و أطهر أن يتلوّث بخواطر البشر، و كلّما تصوّره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، و أقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه من التدقيق، و ما أحسن ما قال:

غايت فهم توست، اللّه نيست	آنچه پيش تو، غير از آن ره نيست

بل الصفات التي نثبتها له سبحانه و تعالى إنّما هي على حسب أوهامنا و قدر أفهامنا، فانّا نعتقد اتصافه سبحانه بأشرف طرفي النقيض بالنظر الى عقولنا القاصرة، و هو تعالى أرفع و أجلّ من جميع ما نصفه به.

و في كلام الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السّلام إشارة الى هذا المعنى حيث قال: «كلّما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم، مردود إليكم. و لعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ للّه تعالى زبانيتين فإنّ ذلك كمالها. و تتوهّم أنّ عدمها نقصان لمن لا يتصف بها. و كذا حال العقلاء فيما يصفون اللّه تعالى به». انتهى كلامه صلوات اللّه عليه و آله.

قال بعض المحقّقين: هذا كلام دقيق رشيق أنيق صدر من مصدر التحقيق و مورد التدقيق، و السر في ذلك أنّ التكليف إنّما يتوقّف على معرفة اللّه تعالى بحسب الوسع و الطاقة، و إنّما كلّفوا أن يعرفوه بالصفات التي ألفوها و شاهدوها فيهم مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إليهم.

و لمّا كان الإنسان واجبا بغيره عالما قادرا مريدا حيّا متكلّما سميعا بصيرا كلّف بأن يعتقد تلك الصفات في حقّ تعالى مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها الى الإنسان بأن يعتقد أنّه تعالى واجب لذاته لا بغيره، عالم بجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات، و كذا في سائر الصفات، و لم يكلّف باعتقاد صفة له تعالى لا يوجد فيه مثالها و منا سبها بوجه. و لو كلّف به لما أمكن تعلّقه بالحقيقة. و هذا أحد معاني قوله عليه السّلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» إنتهى كلامه.

و اعلم انّ تلك المعرفة التي يمكن أن يصل اليها أفهام البشر لها مراتب متخالفة و درج متفاوتة. قال المحقّق الطوسي طاب ثراه في بعض مصنّفاته: إنّ مراتبها مثل مراتب معرفة النار مثلا فإنّ أدناها من سمع أنّ في الوجود شيئا يعدم كلّ شيء يلاقيه، و يظهر أثره في كل شيء يحاذيه، و أي شيء اخذ منه لم ينقص منه شيء و يسمّى ذلك الموجود نارا. و نظير هذه

المرتبة في معرفة اللّه تعالى معرفة المقلّدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة.

و أعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار و علم أنّه لا بدّ له من مؤثّر فحكم بذات لها أثر و هو الدخان. و نظير هذه المرتبة في معرفة اللّه تعالى معرفة أهل النظر و الاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع.

و أعلى منها مرتبة من أحسّ بحرارة النار بسبب مجاورتها و شاهد الموجودات بنورها و انتفع بذلك الأثر. و نظير هذه المرتبة في معرفة اللّه سبحانه و تعالى معرفة المؤمنين الخلّص الذين اطمأنت قلوبهم باللّه و تيقّنوا أنّ اللّهُ نُورُ السَّمٰواتِ وَ الْأَرْضِ[3] كما وصف به نفسه.

و أعلى منها درجة مرتبة من احترق بالنار بكليته و تلاشى فيها بجملته. و نظير هذه المرتبة في معرفة اللّه تعالى معرفة أهل الشهود و الفناء في اللّه، و هي الدرجة العليا و المرتبة القصوى، رزقنا اللّه الوصول إليها و الوقوف عليها بمنّه و كرمه. إنتهى كلامه أعلى اللّه مقامه.

> **و لا يخفى أنّ المعرفة التي تضمّنها صدر هذا الحديث هي المرتبة الثالثة و الرابعة من هذه المراتب، و اللّه أعلم.[4]**

---

[1] (٢) عوالي اللئالي: ج ۴ ص ١٣٢ح ٢٢٧.

[2] (٣) تحف العقول: ص 245 ضمن خطبة الإمام الحسين عليه السّلام في التوحيد.

[3] (١) النور: ٣٥.

[4] الأربعون حديثا ؛ ص٨٠-٨٢